صورة الإنسان الجديد في الأدب الإفريقي الآسيوي المعاصر

بقلم ج. فيترانا

حصلت بعض البلاد الافريقية والاسيوية على استقلالها من الحكم الامبريالي على حين أن البعض الاخر ما زال يناضل من اجل التحرر ، ومع ذلك فان العدوان الامبريالي ما زال قائما بصورة مختلفة في عدد من البلاد الافريقية والاسيوية . ومن الحقائق المعروفة جيدا ان الامبرياليين اذ يغيرون من مخططاتهم يحاولون الان تحقيق اهدافهم الاستعمارية الجديدة في بعض البلاد بمساعدة الرجعية المحلية . وعلى الرغم من الدمار الذي الحقه الامبرياليون بشعوب البلاد الافريقية والاسيوية والاثار القبيحة المترتبة على ذلك فان تلك الشعوب تحاول بثقة تغيير مصيرها مستهدية بالادب الجديد الذي يعكس الحياة وروح الانسان الجديد ويستمر في اضاءة الطريق امام ثقافتنا المعاصرة .

ومنذ نصف قرن استخدم الامبرياليون الادب والفن في عدد من بلاد فارتينا كاداة لتحقيق اهدافهم . واننا نحن الكتاب الافريقيين الاسيويين نعلم ان الامبرياليين وعملاءهم قد حاولوا وضع السدود امام نشاطات الكتاب الذين حاولوا بناء ثقافة تقدمية جديدة . وما زالت تلك الجهود الامبريالية سائدة في عدد من البلاد . ويوجد حتى في سيرى لانكا مثقفون بورجوازيون يغلب عليهم التأثر بالافكار الامبريالية ويحاولون شن حرب عقائدية ضد الاعمال الادبية ذات المضمون الوطني والثوري . وعلى حين انهم يلقبون الكتاب التقدميين بالكتاب الدعاة وفي الوقت الذي يحققون فيه اهداف الامبرياليين فان اعمال كتاب الشعب التي تعكس حياة روح الانسان الجديد في سرىلانكا قداثرت الادبوشاعت لدى الشعب هناك .

ان سرى لانكا دولة صغيرة في آسيا كانت هي الاخرى تحت حكم الامبرياليين البرتغاليين والهولنديين والبريطانيين . ونحن كتاب سرى لانكا على استعداد تام لتقوية الروابط مع الكتاب في البلاد الافريقية والاسيوية وآداء واجبنا في بناء ثقافة افريقية اسيوية جديدة تقوم على اساس توافق تراثنا مع روح الانسان الجديد . ومن الحيوي ان نوضح بأن هدف الادب الافريقي الاسيوي المعاصر هو محاولة انشاء حضارة انسانية تقوم على اساس العقل ونحت اعلام العدالة والسلام والاشتراكية .

واليوم ينشأ ادب جديد على ارضنا يعكس الطموح والامل في مستقبل افضل للانسان الجديد . ونتيجة لذلك ظهر مع كفاح الشعب في فيتنام والبلاد العربية وفلسطين وبنجلاديش ولاوس وكمبوديا ادب يتطور ويتسم بالروح الثورية . ولقد حقق هذا الادب نضوجا مفاجئا بعد ان نم عن سيطرة على الشكل والاصالة وقد اخذنا طابعا عالميا .

وفي جنوب افريقيا حيث تسيطر اقلية بيضاء على الغالبيةالعظمى من الملونين يقوم الادب المعاصر بتعزيز النضال ضد العنصريين البيض . وقد ادت الاعمال الادبية التي وضعها الجيل الجديد من الكتاب وهم من سلالة الوطنيين الذين عانوا من العقوبات الوحشية التي فرضتها عليهم الاقلية البيضاء ـ ادت الى تعجيل النضال التحرري والاسراع بخطاه . ويعتبر ادب جنوب افريقيا الجديد ادب معارضة وتعبير عما يعانيه الشعب من عذاب واحباط . وعلى حين ان العنصرية البيضاء قد فكرتفيوضع حد للادب الافريقي الجديد والقضاء عليه بنفيالكتاب الافريقيين خارج البلاد بما فيهم الكس لاجوما فان عددا كبيرا من الكتاب الذين يسلكون نفس طريق لاجوما قد ظهروا الى حيز الوجود .

ويحاول الامبرياليون تهديد وجود الانسان الحر الجديد في الشرق الاوسط باستخدامهم لسلاح الصهيونية وهم يأملون ان يتحقق لهم ذلك الهدف الذي يسعون اليه عن طريق تشجيع السياسة الفاشستية لاسرائيل . ونتيجة للتدخل الصهيوني في اسرائيل فان ادبا وطنيا جديدا قد جاء الى الوجود بمحتوى ثوري جديد . ولقد قدم الكتاب الجدد في فلسطين اسهاما قيما وحاسما تمثل فيما انتجوه من اعمال وكل هذا من شانه ان يؤدي الى هزيمة الصهيونية .

ان السمة الاساسية في الادب العربي المعاصر هي انه قد عكس آمال وروح الانسان الجديد في خضم النضال من اجل التحرر . ولقد رفض ذلك الادب جميع الايديولوجيات البورجوازية وابرز كثيرا من الافكار الحرة العالمية .

ان الادب المعاصر للشعب في الهند الصينية ـ ذلك الشعب الذي حارب الامبريالية الفرنسية والذي يحارب الان ببطولة وسلاحه في يده ضد الامبريالية الامريكية ـ قد اصبح ادب التعبير عن الامل والايمان الذي لا يموت والمجسد لارادة الشعب في الحياة وفي النصر وفي استعادة حقوقه وتقرير مصيره . ولقد كان للشعب في الهند الصينية الشجاعة في بناء ثقافة جديدة وذلك بالوقوف ضد الاتجاهات الاقطاعية والامبريالية والرجعية . وهم يستطيعون استخدام الادب الفيتنامي المعاصر كسلاح حاد في كفاحهم المجيد من اجل التحرر . وعلى حين ان كتاب فيتنام الشمالية قد انتجوا من الكتابات والاعمال ما كرس لاعادة تشكيل المجتمع الاشتراكي الجديد فان الكتاب الوطنيين في جنوب فيتنام ليقفون بقلوبهم واقلامهم الى جانب المحاربين الشجعان الذين يحاربون

التدخل الامبريالي ويقفون ضد نظام الحكم العميل وايضا ضد الهجمات الثقافية التي يشنها الامبرياليون . ومما هو جدير بالذكر ان عددا كبيرا من الكتاب الذين ينتمون الى الجيل الجديد والذين يستخدمون اقلامهم من اجل الدفاع عن حقهم المقدس في الاستقلال الوطني قد جاءوا من ساحات الحرب في الادغال . ومن واجبنا ان نعيد ذكرى الكتاب والمثقفين في بنجلاديش والذين ضحوا بحياتهم من اجل تحقيق الاستقلال لبلادهم . ولقد عكس اولئك الكتاب في كتاباتهم حق الشعوب في تقرير مصيرها وفي الحصول على استقلالها الوطني .

واليوم نجد ان العدوان الامبريالي الوحشي على الشعوب في بعض المناطق قد غير استراتيجيته ، فقد دبر الامبرياليون المؤامرات لتخريب اقتصاد الدول الافريقية والاسيوية وتقويض السلام والقيم الثقافية في هذه الدول . كما اقام الامبرياليون المؤسسات التي تمكنهم من التأثير على الكتاب والشخصيات الثقافية تحقيقا لاهدافهم حتى اصبح التدخل المستمر من جانب امريكا وبريطانيا والمانيا الغربية في الدول النامية يشكل تهديدا لشعوبنا . ويتخذ العدوان الثقافي الذي تشنه هذه الدول اشكالا متعددة منها :

١ ـ تجنيد العلماء والمفكرين في الدول الافريقية الاسيوية لتحقيق مصالح الدول الاستعمارية .

٢ ـ افساد الكتاب وغيرهم من المشتغلين بالفنون ومحاولة استهوائهم بالايديولوجية الغربية .

٣ ـ انشاء المؤسسات لاستقطاب الكتاب والمفكرين والتأثير عليهم مثل مؤسسة ابيرت ، ومؤسسة فيدريك ، وفرق السلام الامريكية ، ومؤسسة آسيا ، ومؤسسة فورد ، واتحاد الكتاب ، وغير ذلك .

ومؤسسة آسيا مؤسسة امبريالية امريكية اصبح نشاطها محظورا في العديد من الدول الاسيوية ومن بينها سيرى لانكا . وفي الانتخابات العامة التي اجريت في سيرى لانكا في ١٩٧٠ استطاع الكتاب توحيد صفوفهم وتكاتفوا مع الشعب في نضاله ضد عودة الاحزاب السياسية اليمينية . وبعد ان تحقق للشعب انتصاره قررت حكومة سيرى لانكا اليسارية المتحدة قطع العلاقات الدبلوماسية بصفة مؤقتة مع اسرائيل ، وطالبتها بسحب قواتها من الاراضي العربية المحتلة اذا كانت تريد اعادة العلاقات الدبلوماسية .

كذلك فانه مما يميز الاعمال الادبية الحديثة في سيرى لانكا انها تعكس ادراك الانسان الجديد لحياة تنعم بمزيد من العدل ومزيد من الجمال . ومع ذلك فان الامبرياليين لم يوقفوا عدوانهم الثقافي السري في انحاء افريقيا وآسيا ، وبذلوا قصارى جهدهم لعرقلة التقدم الادبي المعاصر ، بل انهم نجحوا في تضليل عدد من الكتاب عن طريق الفساد . ومن الاجهزة التي تعمل على تضليل الكتاب « المؤسسة الدولية لمحو الامية في الهند » و « معهد مارجا » في كل من الهند وسيرى لانكا وعندما فرضت الحكومة الهندية حظرا على نشاط « المؤسسة الدولية لمحو الامية » قررت حكومة سيرى لانكا ايضا وقف نشاط « معهد مارجا » . واخيرا ظهرت مؤسسة امريكية جديدة تحمل اسم « المؤسسة الامريكية التعليمية في سيرى لانكا » وهذه المؤسسة تمارس نشاطها السري لاستمالة الكتاب ذوي الافكار التقدمية تحت ستار النهوض بالادب والتعليم في سيرى لانكا .

ومن ناحية اخرى فان الصحافة الاستعمارية تتصدى هي الاخرى لعملية اقامة ادب يعبر عن الشعب في سيرى لانكا . وقد اصدرت حكومة سيرى لانكا اليسارية المتحدة قانونا يقضي بتوسيع قاعدة الملكية في احدى دور الصحف الرأسمالية وذلك وفاء لوعد كانت قد اعطته للجماهير خلال الانتخابات العامة الاخيرة .

وقد ادارت جبهة الكتاب الشعبيين في سيرى لانكا حوارا عن ضرورة النهوض بالادب التقدمي ، وادى هذا الحوار الى ادراك بعض الكتاب الذين كانوا يخدمون مصالح الرأسمالية والامبريالية ، لحماقتهم وانضمامهم الى صف الكتاب التقدميين . كما ادى هذا الحوار الى اثراء الاتجاه التقدمي الجديد الذي يرمي الى تطوير ادابنا المعاصرة . وادرك الكتاب الذين استطاع الرجعيون تضليلهم ـ ادركوا حماقتهم وتنصلوا مما كتبوه . ان علينا ان نواجه الكثير من المشكلات عندما نحاول ان نعكس امال الانسان الجديد وتطلعاته في آدابنا الافريقية الاسيوية . واهم مشكلتين بين هذه المشكلات توحيد الفئات الوطنية ومشكلة الجيل الناشىء الذي تعرض لتضليل العناصر الرجعية . ولقد اتضح بجلاء بعد النشاط الارهابي المتطرف الذي تعرضت له جزيرة سيرى لانكا ، في ١٩٧١ ـ اتضح كيف ان الامبرياليين قد غيروا مسلكهم واسلوب عملهم لعرقلة زحف الحركات التقدمية في القارتين .

وتنبع النشاطات الارهابية من الافكار المتطرفة والمفاهيم الهدامة التي تتضمنها الاعمال الادبية والفنون المرئية الموجهة اساسا ضد الحركات التقدمية .. والان فان الواجب المقدس الذي يقع على عاتق كتاب سيرى لانكا هو اعادة تشكيل الجيل الصاعد ، وتوحيد صفوفه في ظل الشعارات الحقة . كما يتعين عليهم ايضا النهوض بأدب الشعب ودفعه قدما الى الامام .

ولقد وحد كتاب اللغتين السينهالية والتاميلية صفوفهم داخل اطار جبهة كتاب الشعب في سيرى لانكا ، وذلك من اجل أدب وطني عام في سرى لانكا عن طريق سد ثغرة التنافس والانقسام بين اللغتين السينهالية والتاميلية . وانه لمن دواعي السرور ان كتابنا يعملون الان على خلق مؤلفات ادبية جديدة ترتكز على الوحدة الوطنية والفهم العميق .

ونحن ندرك ادراكا تاما بأن الادب الافريقي الاسيوي الجديد الحر الذي يعبر عن افكار شعوبنا وآمالها ، لن يتمكن من النمو والازدهار الا من خلال الحاق الهزيمة بالتدخل الاستعماري ضمانا للسلام في قارتينا ، كما ان دعم العلاقات مع الدول الاشتراكية سيسهم بلا شك في تحقيق هذا الهدف . ونحن لا نستطيع ان ننسى المساعدات الكبيرة التي قدمتها الدول الاشتراكية من اجل النضال التحرري في آسيا وافريقيا .

ان شعوب افريقيا وآسيا لعلى ثقة بأن الشعب العربي البطل سيلحق الهزيمة بالصهيونية وسيلقن الفاشية الاسرائيلية درسا قاسيا ، وليس في وسع الكتاب الناشئين في الارض العربية ، التهرب من مسؤولياتهم في الظروف الراهنة ، واعمالهم الادبية الجديدة ستكون بمثابة مرشد لهم في كفاحهم ضد اسرائيل واعمالها البربرية .

والان فاننا بحاجة الى الوحدة والتضامن مع الكتاب والمفكرين في آسيا وافريقيا ومن خلال هذه الوحدة سنتمكن من دعم التفاهم بيننا ونواجه تحديات عدونا المشترك . علينا ان نعمل على تقوية الجذور العميقة للوحدة التي تربط بيننا وتؤكد دورنا في الكفاح من اجل تحرير الشعوب ضد الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد والعنصرية . ومن المؤكد ان اسهامات الكتاب الافريقيين الاسيويين الخصبة ستساعد على اثراء ادبنا وستكون مرشدا لنا في كفاحنا الشعبي من اجل مجتمع اشتراكي مستقل قائم على العدل .

جيونا سينافيتهانا
(سري لانكا)